الحمدُ للَّهِ حمدًا كثيرًا طيِّبًا مبارَكًا فيهِ مبارَكًا عليْهِ كما يحبُّ ربُّنا ويرضى.

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ-صلى اللهُ وسلمَ وباركَ عليهِ وعلى آلِهِ وصحبِهِ-.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا*يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)، أَمَّا بَعْدُ: فيا إخواني الكرامُ:

فقَانونُ العَلاقَاتِ بَينَ النَّاسِ يَقومُ عَلى ثَلاثةِ أشياءَ، إمَّا أَنْ تُعَامِلَ النَّاسَ بأحسَنَ مِمَّا يُعَامِلونَكَ بِهِ،

أو تُعَامِلَهم بِالمِثْلِ، أو تُعَامِلَهم بالأَسوأ، ونَبيُّنا–عَليهِ وآلِهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ–سَيِّدُ البَشرِ، والأرقى في الأَخلاقِ والبِرّ، فَقَد اختَارَ لَهُ رَبُّهُ–عَزَّ وجَلَّ–خَيرَ المُعَامَلاتِ، فَقَالَ لَهُ –سُبحَانَهُ–: (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ*وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)، فَكَانَ هَذا ظَاهِرًا في تَعامُلِهِ مَعَ النَّاسِ بالعَفوِّ والتَّغاضي، والبِرّ والإحسانِ.

وَمِنْ صُوَرِ هَذهِ المُعَامَلةِ الحَسَنةِ، مَا حَدَثَ في فَتحِ مَكةَ، فَبَعدَ سِنينَ مِن التَّعذيبِ والاضطِهادِ، وإخراجِ المُسلِمينَ مِن خَيرِ البِلادِ، يَقِفُ النَّبيُّ–صَلَّى اللهُ عَليهِ

وآلِهِ وَسلَّمَ–عَلى بَابِ الْكَعْبَةِ، وَقَد اجْتَمَعَ النَّاسُ فِي الْمَسْجِدِ، فَيَقولُ: مَا تَرَوْنَ أَنِّي فاعلٌ بِكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، فَقَالَ–عَليهِ وآلِهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ–: "أَقُولُ كَمَا قَالَ أخي يُوسُفُ لإِخوَتِهِ: (لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِين)، اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ"، فَكَانَ نَتيجةُ هَذهِ المُعَاملةِ الحَسَنةِ أنْ دَخَلُوا فِي الإِسْلامِ، وَصَدقَ اللهُ–تَعالى–: (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ).

وَقَد وصَى الرسولُ–صلَّى اللهُ عليْه وآلِهِ وسلَّمَ–أُمَّتَهُ بِخَيرِ التَّعَاملِ فَقَالَ: "اعْفُ عمَّنْ ظَلَمَكَ، وصِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وأحسنْ إلى مَنْ أساءَ إليكَ، وقُلْ الحقَّ

ولَوْ على نفسِكَ"، وَقَالَ: "لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ"، لَيسَ وَاصِلُ الرَّحِمِ هُو الذي يَصِلُ إذا وَصَلوهُ، فإنَّ هَذا مُكَافأةٌ ومُعَاوضةٌ، "وَلَكِنْ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا"، إذا أَسَاءَ إليهِ أَقَاربُه أَحسَنَ إليهم ووَصَلَهُم، وهَكَذا تَكونُ المُعَاملةُ بالأحسَنِ، قَالَ المُقَنَّعُ الكِنديُّ:

وَإِنَّ الَّذي بَيني وَبَين بَني أَبي*

وَبَينَ بَني عَمِّي لَمُختَلِفٌ جِدًّا

أَراهُم إِلى نَصري بِطاءً وَإِنْ هُمُ*

دَعَوني إِلى نَصْرٍ أَتيتُهُم شَدًّا

وَإِن ضَيَّعوا غَيبي حَفظتُ غُيوبَهُم*

وَإِنْ هُمْ هَوَوا غَيِّي هَوَيتُ لَهُم رُشدا

فَإِن يَأكُلوا لَحمي وَفَرتُ لحومَهُم*

وَإِن يَهدِموا مَجدي بنيتُ لَهُم مَجدا

وَأمَّا اليَومَ فهُناكَ مُشكِلةُ التَّعاملِ بِالمِثلِ، يَقولُ أحدُهم: يَزورُني أزورُه، يَعودُني أَعودُه، يُعطيني أُعطيه، يُحسِنُ إِليَّ أُحسِنُ إليهِ، يُسَلِّمُ عَليّ أُسَلِّمُ عَليهِ، يُشارِكُني في الأفراحِ أُشارِكُهُ في الأفراحِ، يُشارِكُني في الأحزانِ أُشارِكُهُ في الأحزانِ، والعَكسُ بالعَكسِ، حَتى أصبَحَ شِعَارُ الكَثيرِ قَولَ الشَّاعِرِ:

وَلَسْتُ بَهَيَّابٍ لمنْ لا يَهابُنِي*

وَلَستُ أَرى لِلمَرءِ مَا لا يَرى لِيا

فَإِنْ تَدنُ مِنّي تَدنُ مِنْكَ مَودَّتي*

وإِنْ تَنأَ عَنِّي تَلْقَني عَنْكَ نَائيا

كِلاَنا غَنِيٌّ عَنْ أخِيه حَيَاتَه*

وَنَحْنُ إذَا مِتْنَا أشَدُّ تَغَانِيَا

فَهَذا مُكافأةٌ ومُقَابلةٌ للإحسانِ بالإحسانِ، وَليسَ عَمَلًا يُبتَغى بِهِ وجهُ اللهِ–تَعالى–، فَالذي يَعملُ للهِ لا يَتَطلَّعُ إلى مُعَاوَضةِ النَّاسِ، ولا إلى شُكرِهم وثَنائهم، (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا)، ومَا تَدري لَعلَّكَ بِزيارتِكَ أو مُشاركَتِكَ لَه في الأفراحِ والأحزانِ، تَكونُ سَببًا في إصلاحِ قَطيعَتِه، وكَسبِ مَوَدَتِهِ، وصَدَقَ اللهُ–تَعالى–: (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ).

أستغفر اللهَ لي ولكم وللمسلمينَ...

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ كما يحبُ ربُنا ويرضى، أَمَّا بَعْدُ:

فَعِلاجُ المُعامَلةِ بِالمِثلِ هو أن تُحسِنَ الظَّنَّ بِأَخيكَ المسلِمِ إذا لَم تَرهُ في مُناسَبَاتِكَ، وكَما قِيلَ: الغَائبُ عُذرُهُ مَعهُ، كانَ طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَجْوَدَ قُرَيْشٍ فِي زَمَانِهِ، فقَالَتْ امرأتُه: "مَا رَأَيْت قَوْمًا أَلْأَمَ مِنْ إخْوَانِك، قَالَ: مَهْ، وَلِمَ ذَلِكَ؟ قَالَتْ: أَرَاهُمْ إذَا أَيْسَرْت لَزِمُوك، وَإِذَا أَعْسَرْتَ تَرَكُوك، قَالَ: هَذَا وَاَللَّهِ مِنْ كَرَمِهِمْ، يَأْتُونَنَا فِي حَالِ الْقُوَّةِ بِنَا عَلَيْهِمْ، وَيَتْرُكُونَنَا فِي حَالِ الضَّعْفِ بِنَا عَنْهُمْ"، يَقُولُ المَاورديُّ: "فَانْظُرْ كَيْفَ تَأَوَّلَ بِكَرْمِهِ هَذَا التَّأْوِيلَ حَتَّى جَعَلَ قَبِيحَ فِعْلِهِمْ حَسَنًا، وَظَاهِرَ غَدْرِهِمْ وَفَاءً، وَهَذَا مَحْضُ الْكَرَمِ

وَلُبَابُ الْفَضْلِ، وَبِمِثْلِ هَذَا يَلْزَمُ ذَوِي الْفَضْلِ أَنْ يَتَأَوَّلُوا الْهَفَوَاتِ مِنْ إِخْوَانِهِمْ، وصَدَقَ القَائلُ:

إِذَا مَا بَدَتْ مِنْ صَاحِبٍ لَك زَلَّةٌ*

فَكُنْ أَنْتَ مُحْتَالًا لِزَلَّتِهِ عُذْرَا

ومَا أَجملَ قَولَ بَعضِهم: "مَا يَزالُ التَّغَافلُ عَن الزَّلاتِ مِن أَرقى شِيَمِ الكِرامِ؛ فإنَّ النَّاسَ مَجبولونَ–مفطورونَ–عَلى الزَّلاتِ والأَخطاءِ، فَإِنْ اهتَمَّ المرءُ بِكُلِّ زَلةٍ أَو خَطيئةٍ تَعبَ وأَتعَبَ، والعَاقِلُ الذَّكيُّ من لا يُدَقْقْ في كُلِّ صَغيرةٍ وكَبيرةٍ مِن أَهلِهِ وأَقَاربِهِ، وأَحبابِهِ وَجِيرانِهِ، وأَصحابِهِ وزُملائه، كِي تَحلوا مُجالَستُهُ، وتَصفو عِشرَتُهُ".

وإذا المُسيءُ جَنَى عَليكَ جِنايةً*

فَاقتُلهُ بِالمَعروفِ لا بِالمُنكَرِ

أَحسِنْ إليهِ إذا أَسَاءَ فَأَنتُمَا*

مِنْ ذِي الجَلالِ بِمَسمَعٍ وبِمَنظَرِ

يا حيُّ يا قيومُ، يا ذا الجلالِ والإكرامِ، نسألكَ بأسمائِك الحُسْنَى، وصفاتِك العُلَى، يا ولي الإسلامِ وأهلِه ثبتْنا والمسلمينَ به حتى نلقاكَ.

اللهم أصلحْ لنا ديننَا ودنيانا وآخرتَنا، واجعلِ الحياةَ زيادةً لنا في كلِّ خيرٍ، والموتَ راحةً لنا منْ كلِّ شرٍ.

اللهم اهدنا والمسلمينَ لأحسنِ الأخلاقِ والأعمالِ، واصرفْ عنا وعنهم سيِئها، اللهم اغفرْ

لوالدينا وارحمْهم واجعلْهم في الفردوسِ الأعلى من الجنةِ وإيانا والمسلمينَ، اللهم إنَّا نسألك لنا وللمسلمينَ من كلِّ خيرٍ، ونعوذُ ونعيذُهم بك من كلِّ شرٍ، ونسْأَلُكَ لنا ولهم العفوَ والْعَافِيَةَ في كلِّ شيءٍ، اللهم يا شافي اشفنا واشفِ مرضانا ومرضى المسلمينَ والمسالمينَ، اللَّهُمَّ اِكْفِنَا والمسلمينَ بحلالِكَ عن حرامِكَ، وأَغْنِنَا بفضلِكَ عَمَّنْ سِواكَ، اللَّهُمَّ إنَّا نسألُكَ مِنْ فَضْلِكَ ورَحْمَتِكَ فإنَّهُ لا يَمْلِكُها إلا أنتَ، اللهم اجعلنا والمسلمينَ ممن نصرَك فنصرْته، وحفظَك فحفظتْه، اللهُمَّ عليك بأعداءِ الإسلامِ والمسلمينَ وعليكَ بالظالمينَ فإنهم لا يعجزونَك، اكفنا واكفِ المسلمين شرَّهم بما شئتَ، حسبُنا اللهُ ونِعْمَ

الوكيلُ، لا إلهَ إلَّا هوَ عليهِ توكلنا وهو ربُّ العرشِ العظيمِ، اللهُمَّ إنَّا نجعلُكَ في نُحورِهم، ونعوذُ بكَ مِنْ شرورِهم، اللهم إنَّا والمسلمينَ مستضعفونَ فانتصرْ لنا يا قويُ يا عزيزُ.

اللهم أصلحْ وُلاةَ أُمورِنا وأُمورِ المسلمينِ وبطانتَهم، واجعلْ أَمرَهم لِنَصرِ دِينِكَ، ولإعلاءِ كَلمتِكَ، ووفقهمْ لما تحبُ وترضى، وانصرْ جنودَنا المرابطينَ، ورُدَّهُم سالمينَ غانمينَ.

اللهم صلِ وسلمْ وباركْ على نبيِنا محمدٍ، والحمدُ للهِ ربِ العالمين.